

خطبة ابن عاصم الغرناطي (ت 857 هـ) في حث الهمم دراسة موضوعية أسلوبية

The sermon of Ibn Asim Al-Gharnati (d. 857 A.H.) in Hath Al-Hammam
stylistic thematic study

د. نجاة محمد حداقة . محاضر بقسم اللغة العربية. كلية الآداب والعلوم قمينس. جامعة بنغازي.

أ. فدوى إبراهيم عبدالله. محاضر بقسم اللغة العربية. كلية الآداب والعلوم قمينس. جامعة بنغازي.

Dr: Najat. M. Hadaga. Lecturer, Department of Arabic Language. Faculty of Arts and Sciences Qamens. Benghazi University.

Email: nagat.hadaga@uob.edu.ly

MA: Fadwa . I. Abdullah. Lecturer, Department of Arabic Language. Faculty of Arts and Sciences Qamens. Benghazi University.

Email: fadwa.thabet@uob.edu.ly

تاريخ قبول البحث

تاريخ تسليم البحث

2022 / 3 / 24

2022 / 1 / 12

المخلص

تسعى هذه الدراسة إلى النظر في لون من ألوان النثر في العصر الأندلسي من خلال خطبة أبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي (ت 857 هـ) التي وجهها إلى الجمهور الأندلسي لحث الهمم والتنبيه على ما يمكن أن يلم الشمل ويزيل أسباب الخلاف بينهم والتي جاءت بعنوان (في قصد التنبيه على هذه اللطائف والإيقاظ لأرباب الدولة من الغفلة) ، وقامت الدراسة على النظر في بناء الخطبة من أساسها على الثنائيات الضدية من خلال توظيف الطباق والمقابلة وكذلك على تحليل المقومات الأسلوبية الأخرى فيها معتمدة على مستويات التحليل الأسلوبي المتعددة كالمستوى التركيبي ، والمستوى المعجمي ، والمستوى الصوتي ، كما سعت الباحثتان لتحليل الكيفية التي استثمرت بها تلك الأدوات وصولاً إلى مستوى أعلى من التأثير في قلوب مستمعيه أو متلقيه ، وتحقيقاً للغاية المنشودة منه.

الكلمات الدالة: الخطبة، ابن عاصم الغرناطي، حث الهمم

Abstract: this study seeks to look at one of the kinds of prose in the Andalusian era through the speech of Abu Yahya Muhammad bin Asim Al-Gharnati, which he addressed to the Andalusian audience to urge enthusiasm and alert about what can bring them together and remove the causes of disagreement between them. It was titled as (In the intent of warning against these gentleness and awakening the heads of the state from negligence) structural level , lexical level, audio level

The study was looking forward to build the sermon from its foundation on contradictions through the use of counter and interview, as well as on the analysis of other stylistic components in it based on the multiple levels of stylistic analysis, the researchers also sought to analyze how those tools were invested in order to reach a higher level of influence on the hearts of its listeners or recipients, and to achieve the political goal desired by him.

Keywords: The engagement, Ibn Assem Al-Gharnati, Hath Al-Hamm

المقدمة: تعدّ الخطابة من الفنون النثرية التي كانت شائعة في الأندلس ، اعتمد عليها الخطباء على مرّ العصور لأنها كانت الوسيلة الفعالة لاستنهاض الهمم ، وإبداء روح الحماسة للجهد في سبيل الله ، وخير مثال على ذلك خطبة طارق بن زياد وخطبة لسان الدين بن الخطيب وغيرهما .

وقد تطور هذا الفن وتنوّعت موضوعاته ، فشملت الخطابة أغراضاً شتى منها الدينية، والسياسية، والاجتماعية، وغيرها . وازدهرت الخطابة السياسية في الأندلس ازدهاراً كبيراً نتيجة تأثير الأحداث السياسية، واشتداد الأزمات وتتابعها، وسقوط معظم المدن الأندلسية في يد النصارى، ولم يبقَ من الأندلس في القرن الثامن الهجري سوى غرناطة وما حولها .

ولمّا كانت الخطابة هدفها الإقناع والتأثير ، فقد جاءت خطبة ابن عاصم الغرناطي في أسلوبها لتحقيق هذين الهدفين ، فالخطابة " مرامها التأثير في نفس السامع، ومخاطبة وجدانه، وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه، ليذعن للحكم، إذعاناً ويسلم به تسليمًا " (أبو زهرة ، الخطابة أصولها وتاريخها ، ص 12).

ومن هنا فإن هذه الدراسة تهدف إلى النظر في بناء خطبة أبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي ، التي وجهها إلى الجمهور الأندلسي لاستنهاض الهمم ، ونبذ الفرقة والدعوة إلى الاتفاق ، والإيقاظ من الغفلة ، وقد جاءت الدراسة في قسمين :

القسم الأول في التعريف بابن عاصم حياته وأثاره ، وأتبعنا ذلك بالحديث عن خطبته (في قصد التنبيه على هذه اللطائف والإيقاظ لأرباب الدولة من الغفلة) والقائمة في أساسها على المتناقضات من خلال توظيف الطباق والمقابلة .

والقسم الثاني في تحليل المقومات الأسلوبية التي قامت عليها الخطبة ، وذلك من خلال دراسة مستويات التحليل الأسلوبي المتمثلة في المستوى التركيبي ، والمستوى المعجمي ، والمستوى الصوتي .

القسم الأول: ابن عاصم وخطبته

التعريف بابن عاصم :

هو أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الغرناطي الأندلسي المالكي (التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 313) ، كان يعرف بقاضي الجماعة (المقري ،أزهار الرياض ، 1 / 145)، لم تذكر المصادر سنة ولادته ، لكن الدكتور صلاح جرّار ذهب إلى تقدير ذلك بين 794 - 799 هـ (ابن عاصم جنة الرضا ، المقدمة ، 37/1) ، ينتمي إلى أسرة مرموقة في غرناطة كان لها دور بارز في النشاطات العلمية والأدبية والسياسية في عصر بني الأحمر ، قال عنها المقري : "ألا وأن بيته البيت الذي طلع في أفقه كل كوكب وقاد ، ممن وشج به للعلوم انقاء وانتقاد ، وترامى به للمدارك ذكاء وانتقاد ، فأعظم بهم أعلاماً وصدوراً ، وأهله وبدوراً ، خلدت ذكرهم الدواوين المُسطرة ، وسرت في محامدهم الأنفاس المعطرة " (المقري ، نفع الطيب ، 6/158) .

ذكرت المصادر عدداً من شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم منهم والده ، والإمام المحقق الحسن بن سمعة ، والإمام القاضي أبو القاسم بن سراج ، والشيخ الراوية أبو عبد الله المنتوري ، وغيرهم (المقري ، أزهار الرياض ، 1/145) .

تقلب ابن عاصم في كثير من المناصب ، وشغل العديد من الوظائف ، فقد ذكر صاحب نيل الابتهاج أنه ولي اثنتي عشرة خطة في وقت واحد من القضاء والوزارة والكتابة والخطابة وغيرها ، مع إمامته وتقدمه في العلوم وتضلعه بالحفظ والتحقيق ، كان كاتباً ورئيساً للكتاب وخطيباً ووزيراً وشاعراً وناثراً وإماماً ومفتياً ، كما أنه كان من أكبر فقهاء غرناطة وعلمائها (التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص 313) .

وقد مكنت هذه المناصب ابن عاصم من احتلال مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة عند أهل مملكة غرناطة وملوك بني الأحمر ، خاصة السلطان الغرناطي الغالب بالله محمد بن نصر الأيسر ، فقد جاء في الظهير الذي أصدره سلطانه محمد الأيسر سنة 857 هـ ، والذي قدّم فيه ابن عاصم للنظر في أمور الفقهاء " لما له في دار الملك من الخصوصية العظمى ، والمكانة التي تسوّغ النعمى ، والرتب التي تسمو العيون إلى مرتقاها ، وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها ، حيث سرُّ المُلْك مكتوم ، وقرطاسه مختوم ، وأمره محتوم ... " (المقري ، أزهار الرياض ، 1/174)

له عدة مؤلفات منها كتابه (جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى) ، وصفه صاحب شجرة النور الزكية بقوله : " كتاب عجيب جداً غريب ، ألفه يندب بلاد الأندلس ويحرك عزائم الإسلام لنصرة الدين لما استولى العدو على غالب تلك البلاد " (مخلوف ، شجرة النور الزكية ، 358/1) ، وفي كتابه جنة الرضا وردت خطبته - موضوع البحث - التي تحدّث فيها عن أحوال مملكة غرناطة وما دهاها من آثار التفرق والفتن ، ووصف فيها أساليب القشتاليين في الكيد والتفريق بين المسلمين ، لإيقاظ أرباب الدولة من الغفلة ، وله أيضاً كتاب (الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض) ، ذيل به كتاب الإحاطة لابن الخطيب ، وشرح كتاب والده تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام (المقري ، أزهار الرياض ، 1 / 145) ، وله تقييد عرّف فيه بأهل بيته ، فضلاً عن مجموعة من الفتاوي والمراجعات بينه وبين أهل عصره من العلماء والمفتين والقضاة . (التنبكتي ، نيل الابتهاج ، 2 / 491) .

توفي ابن عاصم ذنباً سنة 857 هـ من جهة السلطان الحاكم آنذاك (مخلوف، شجرة النور الزكية ، 1 / 358 . البغدادي ، هدية العارفين ، ص 200) بعد أن خدم مملكة غرناطة زمناً طويلاً ، ولم تذكر المصادر السبب الذي من أجله دُبح .

عُرف ابن عاصم بلقب ابن الخطيب الثاني ، فكان "يسميه أهل زمانه ابن الخطيب الثاني حسبما قاله الوادي أشي وغيره" (المقري ، أزهار الرياض ، 1 / 186)

ومما يدل على تأثر ابن عاصم بلسان الدين ابن الخطيب أنه أعجب بكتابه الإحاطة في أخبار غرناطة ، فوضع تقرّيباً شرح فيه أجزاءه ، ومضمونه وذيل له ، وأشاد فيه بابن الخطيب وأورد كثيراً من مآثره وحسناته في فنون الكتابة ، يقول ابن عاصم في مقدمة هذا التقرّيب : "فإن راسم آياتها المتلوه ، ومبدع محاسنها المجلّوة ، وناقل صورتها من الفعل إلى القوه ، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمة ، ونشأة من نشأت جودها الشامل النعمة ، الهامل الديمة ، فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف ، على الإنصاف ، فأخلاف هذه المكارم النصرية أضرعته ، وعنايتها الجميلة أسمته ، فوق الكواكب ورفعتة ، وإليها ينسب إحسانه إن انتسب ، ومن كريم تشریفها اكتسب ، من الفضل الظاهر ما اكتسب . والحضرة هي منشؤه الذي عظم فيه قدره ، بل أفقه الذي أشرق فيه بدره ، والتشريفات السلطانية هي التي فتقت اللّهي باللّهي ، وأحلت من مراقي العزّ فوق السُّها ، وأمكنت الأيادي من الذخائر والأعلاق ، وطوقت المنن كالقلائد في الأعناق ، وقلدت الرئاسة والأقلام أقلام ، وثنتت الوزارة والأعلام أعلام ، فبهرت أنواع المحاسن ، وورد معين البلاغة غير المطروق ولا الأسن ، وبرعت التواليف في الفنون المتعددة ، واشتهرت التصانيف ، ومنها هذا التصنيف المشار إليه ، لما له من الأذمة المتأكدة ، وإذا ظهر هذا الاستدلال ، وأوضح البيان ما كتبه الإجمال ، فلنصح الآن بما قصد ، ولنحقق من أنجم السعادة ما رصد " (المقري ، أزهار الرياض ، 1 / 57 ، 58) .

وقد علّل الدكتور صلاح جرار في مقدمة تحقيقه لكتاب (جنة الرضا) أنّ تأثر أسلوب ابن عاصم في النثر الفني بأسلوب سابقه ابن الخطيب يعود لعدة أسباب ، منها "أن شيوخ ابن عاصم هم تلاميذ ابن الخطيب ، وأن ابن الخطيب وابن عاصم كليهما قد شغلا وظائف متشابهة في مملكة غرناطة وقد حقق كل منهما منزلة رفيعة عند سلطانه ، ولذلك اتفقت موضوعات الكتابة عند كليهما اتفاقاً واضحاً " (ابن عاصم ، جنة الرضا ، المقدمة ، ص 67) . وهي أسباب منطقية لاسيما وأن البيئة الأدبية التي يصدران عنها واحدة .

خطبة ابن عاصم ، موضوع الدراسة

وردت هذه الخطبة موضوع الدراسة في آخر الجزء الثاني من كتاب "جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى" (جنة الرضا ، 2 / 289 - 311) الذي هو من تأليف أبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي (ت 857 هـ) وقد قام بتحقيق الكتاب بأجزائه الثلاثة ، الأستاذ الدكتور صلاح جرار ، كما أن ابن عاصم سلك في خطبته هذه نهج ابن الخطيب إذ يقول المقري : "ومن بديع نثره الذي سلك به نهج ابن الخطيب رحمه الله قوله رحمه الله ... " (نفع الطيب ، 6 / 148 ، 149) ثم أورد خطبة ابن عاصم موضوع الدراسة .

و الخطبة تسير في خطين متوازيين ، وتقوم على الموازنة منذ بدايتها بما يؤهلها لأن تمتاز ببراعة المطلع الذي لخص فيه ابن عاصم ما سيأتي على مدار الخطبة بتمامها ، فمنذ السطور الأولى نلمح تلك المتوازيات والمقارنات التي سيفصل الحديث عنها فيما بعد ، "فإن لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة أو صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشئ ، وإلا فليست ببراعة استهلال " (ابن حجة الحموي ، خزنة الأدب ، 1 / 40) .

وقد صدر ابن عاصم الخطبة بقوله: "وفي قصد التنبيه على هذه اللطائف والإيقاظ لأرباب الدولة من الغفلة، أنشأت...". إذاً غرضها التنبيه والإيقاظ من الغفلة، وقد اتخذ لهذا الغرض خطأ واضحاً بناء على ذكر المتناقضات من بداية الخطبة كما أسلفنا، حيث بين الحال الراهن الذي آل إليه المسلمون مقارنة بما كانوا عليه في السابق عندما تجاذبتهم النزاعات، فأضعفتهم وفزقتهم وهزمتهم، وأضاعت منهم بلاد الأندلس ومكنت منهم أعداءهم، ولكن الحال الراهن على نقيض ذلك ففيه الاتفاق والوفاق والاجتماع والنصر.... وقد قدم كل ما سبق بالحمد لله الذي غير حالهم إلى هذا الحال.

ثم يأتي بالشهادتين على أتم حال، وفيهما تتجلى الروح المعنوية العالية التي تظهر آثار مناسبتها لمقتضى الحال عندما يعرج بالحديث عن "الأنصار" الذين ينتمي لهم الخليفة، ومن هذا الحديث ينطلق للحديث عن الخلافة الغالبية، وأيامها التي تكلفت بالنصر والتأييد من الله سبحانه وتعالى، فأذن لها الجابرة والمعتدون، فكفت أذاهم عن ديار المسلمين وهو بهذه الافتتاحية يلخص مدار خطبته، ويشي بما سيكون فيها.

ويتوجه ابن عاصم بعد هذه الافتتاحية إلى أساس الخطبة، وذلك عندما ينهي استهلاله بقوله: "أما بعد، فإن الله على كل شيء قدير، إنه بعباده خبير بصير....." ويجعل هذه البداية خاصة بالمقدرة الإلهية على معرفة الخفايا والأسرار، فالنصر والتأييد موكلان بصفاء السرائر وإخلاص النوايا، وهذا الدوران في فلك ربط الظفر بالإيمان بالله والتوكل عليه سبحانه إشارة إلى الصبغة الدينية التي تشيع في ثنايا الخطبة، ثم بألفاظ يغلب عليها الطابع الديني، المتوكل على الله يبين أن كثيراً من تقلب الأحوال، ما هو إلا اختبار، لذلك فالتسليم لأمر الله فيه واجب، وعن طيب خاطر، وجميل صبر، فالأمر كله لله عظيمه ودقيقه، وخاتمة الأمر له وهو القادر على إظهار الإسلام على أعدائه.

وبعد هذا التسليم والخضوع، نجده يطرق باباً نحسب أنه أقفله وتجاوزته، فهو يعود بالسامع إلى ما جلب على الأمة الأندلسية الويل والهلاك، من كفران النعمة، والبعد عن الجادة، وما آل إليه حالهم عندما انحدرت بهم أعمالهم، وتربصت بهم أعداؤهم، إذ هيا الله لهم جمع الشمل، فحذر أعداءهم، وأخزى المتربصين بهم، وأصلح أحوالهم، على خير ما يمكن أن يكون الإصلاح، وكانت آية ذلك، التفاف الخلافة الغالبية حول الكتاب والسنة، والالتزام بالشرعية، ثم يسرف ابن عاصم في بيان أثر هذا الالتفاف على النصر المؤزر الذي حازته هذه الأمة.

ويمضي بعد ذلك لكشف ما قد يفوت السامعين من أسباب تمكين العدو في بلاد المسلمين، من تسلل إلى معقلهم و زرع الفتنة بينهم، وخص بذلك العدو الأكبر وهم النصارى، مبرزاً أفعالهم، ما ظهر منها وما خفي في الكيد للمسلمين، منبهاً من انقراض في ركبهم دون وعي، إلى أفعالهم السيئة وعقيدتهم الفاسدة، ونواياهم الخبيثة، مقارناً بين تلك العقيدة وعقيدة الإسلام السمحة السليمة، وهو إذ يعقد هذه المقارنة، فيعقدها معزّضاً بمن سار في ركبهم، فيجعله في مرتبة من لا يعقل عندما قال: "اللهم احفظ علينا العقل والدين، واسلك بنا سبيل المهتدين"، ثم يربط النصر بالالتزام بالإسلام والالتفاف حول تعاليمه وإحياء سننه وشرائعه، التي أهملت موجهاً حديثه إلى طوائف من الشرفاء، وهم العلماء والأشياخ والفرسان، ثم الخاصة ويقصد بهم بطانة السلطان، فيوجه لهم نصحه في أسلوب مباشر، وينبّه إلى ما قدّم به من ارتباط النصر بالتمسك بالإسلام، والوحدة والاتفاق، والبعد عن كل نقائص ما سبق من تهاون في أمر الدين، والانفضاض من حول أرباب الأمر من الخلفاء، وما إلى ذلك مما يضعف العزائم، ويحط من الهمم، وهو يعزز أقواله بالأدلة والبراهين ليصل إلى إقناع المتلقي، فيسوق سلسلة من الحجج والأدلة المقتبسة من القرآن الكريم بعضها مصرحاً به نصاً، والآخر غير مصرح به نصاً، وإنما يفهم من خلال كلمة أو جملة مقتبسة من الآيات القرآنية، لإقناع الجمهور الأندلسي بضرورة الاقتداء بالسلف الصالح وعزم الاجتماع على أمر الله تعالى، وغايته من ذلك أن يتفاعلوا مع خطابه ويعملوا بمقتضاه.

وكذلك يستند في أدلته على الأقوال الماثورة فقد يتخذ من أقوال الصالحين دليلاً يعزز به مراده من مثل قوله مضمناً قول تاج الدين ابن عطاء الله السكندري: "ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت خلاف ما أظهره الله فيه".

كما يشير إلى بعض الأمثال كقوله في معرض الحديث عن طائفة ممن يتحدث عنهم: "وإن أولى الناس في ذلك بإرهاق العزيمة وتوخي السبل المستقيمة، والقيام بمضمون هذا الرسم المستقل، والوفاء بتكميل قصد الكاتب فيه والممل، لخواص الدولة الغالبية الذين لحقهم التمحيص والاختبار، وتحولتهم بأبلغ الموعظة الأقضية والأقدار وهم الذين ربحت منهم في السوق التجارة، والمقصودون بالخطاب من باب إياك أعني واسمعي يا جارة". فهو يشير إلى قول سهل بن مالك الفزاري "إياك أعني واسمعي يا جارة"، وهو مثل قديم يستعمله المتكلم بصورة غير مباشرة بحيث يفهمه السامع دون مجابته، فهو يلح لما يريد تلميحاً.

وقد يتخذ من التذكير بأحوال السابقين وسيلة للإقناع فيسوق أخبارهم وما كانت عليه أحوالهم من فرقة واختلاف، وتصديهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيرة، والفائدة من ذكر قصصهم للاتعاض، يقول: "ومن استقرأ التواريخ المنصوصة، وأخبار الملوك المقصوصة، علم أن النصارى - دمرهم الله - لم يدركوا في المسلمين ثارا، ولم يحرقوا من الجزيرة منازل وديارا، ولم يستولوا عليها بلاداً جامعة وأمصاراً، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف، واجتهادهم في وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف، وتصديهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيرة، وتحريشهم بالكيد، والخلابة بين حماتها في الفتن المبيرة". فتاريخ الأندلس بصفحاته الطويلة يظهر فيه العار الذي لحق النصارى، وأنهم لم يتمكنوا من بلاد المسلمين إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف واجتهادهم في وقوع الافتراق والاختلاف بين المسلمين.

كما اتخذ ابن عاصم من عقد المقارنات أداة فاعلة للوصول لمراده من التنبيه والحث، والتحذير ما يصلح أن يكون عليه الحديث في مثل هذه المقامات، ففي الخطبة حال سابق، وحال رهن، واختلاف واتفاق، وإسلام، ونصارى، وتوحيد، وتثليث، إلى غير ذلك من المتناقضات التي استعان لها بجملة من الأدوات التعبيرية وفي مقدمتها الطباق والمقابلة وهما القاسم المشترك الذي يتقاطع مع كل الأدوات التعبيرية التي استند عليها ابن عاصم في خطبته هذه، والطباق في اللغة الموافقة والجمع بين الشيئين، وفي الاصطلاح الجمع بين معنيين متقابلين سواء كان تقابل التضاد، أم تقابل الإيجاب والسلب (المراعي، علوم البلاغة، ص 320)، والحق أن المناسبة بينهما جلية وواضحة، وهي الموافقة، لأن المطابقة في اللغة الموافقة، وفي الاصطلاح أن المتكلم بهذا الأسلوب يوافق بين المعنيين المتقابلين بدقة.

وفي مفهوم نحو النص الحديث فالطباق تقنية نحوية تؤدي غرضاً دلاليّاً، وهو الجمع بين المعنى وضده في التراكيب اللغوية، حيث الكلمة عبارة عن وحدة دالة، ترتبط بغيرها عبر قنوات التماسك النصي، والطباق يؤدي هذا الغرض بإتقان، فهو يحيل ذهن المتلقي إلى الحقول الدلالية التي أنت منها هذه الوحدات المتضادة، والتضاد بحد ذاته علاقة رابطة بين الكلمات (البحيري، علم لغة النص، ص 35).

من هنا خدم الطباق الخط العام الذي قامت عليه الخطبة فتوظيفه في النص جعل ذهن المتلقي متنقلاً بين المتناقضات، ولعلّ هذا التنقل عند ابن عاصم يأتي بغرض إيقاع أكبر الأثر في سامعيه عن طريق وضعهم بين الأطراف الدلالية المتضادة، أي أننا نتخيل المعاني المتضادة تنتظم في خطين متوازيين، ويكون تأثير السامع بهذه المتضادات أكثر كلما تقاربت في التركيب وكانت متجاورة، وهذا ما نجده عند ابن عاصم حيث يأتي بالمتضادات قريبة من بعضها، فلا يلبث السامع أن يستوعب المعنى المتقدم حتى يلحقه بضده على الفور، ومن شأن هذه التقنية أن توقع التأثير بسرعة في نفس المتلقي، ومن ذلك قوله في بداية الخطبة: "الحمد لله الذي عوّض من الخلاف وفاقاً، وأعقب من الافتراق اجتماعاً واتفاقاً" فقد أتى بالمتضادتين (الخلاف - وفاقاً) متتابعتين، ثم ألحقهما بقوله: (اجتماعاً - افتراقاً) متتابعتين أيضاً، وأكد المعنى الأخير أيضاً بالإتيان بكلمة موافقة ومنسجمة مع معنى الاجتماع، فألحق كلمته الأخيرة (اجتماعاً) بـ (اتفاقاً) والغرض من هذا بَيِّن، وهو إظهار البغض للافتراق، والرغبة في الاتفاق، وحمد الله على حصوله وتحقيقه.

والطباق من المحسنات المعنوية التي اعتمدها ابن عاصم في البنية الفنية لنص الخطبة، وقد أكثر من استعمال هذا اللون من المحسنات فطابق بين الاجتماع والافتراق، والتوحيد والتثليث، والإخلاص والخيانة، والماضي والحاضر...، لكي يترك للمتلقي "حرية تلمس آثارها العميقة في نفسه، النفسية منها والعقلية والذهنية، فضلاً عن ذلك فإن اجتماع الأضداد في مكان واحد يأتي لتأدية مهام بلاغية ذات أهداف ومرام هائلة، إن ذلك في حد ذاته نوع من البلاغة في التأليف والقدرة على الابتكار". (بنيان، البيان والبدیع، ص 168)

وقيام الخطبة على المتناقضات العديدة أهلتها لأن تكون مسرحاً واسعاً لاستخدام الطباق بنوعيه، السلب: الذي يكون بين اللفظ ومنفيه، و، طباق الإيجاب: ويكون بالجمع بين اللفظ وضده (عتيق، علم البديع، ص 61، 62)، فمن طباق السلب، قوله: "لا نخذلنا خذلان من أرداه عمله" فالطباق بين لفظة (لا نخذلنا) و (خذلان)، كلام موجز حمل طياته معنى غزيراً ساقه عن طريق استخدام طباق السلب وبصيغة الأمر، و منه أيضاً "وغشي الخوف غير الخائفين، وسلب الأمن للآمنين من مكر الله"، فهذه ثنائية تقابلية تضادية بين مشهدين ومعنيين، رافقه تقابل بين معنيين متضادين للسابقين، وبالتضاد السليبي بين الخوف لغير الخائفين

وسلب الأمن للأمينين جاء بهذه المقابلة والتضاد لتفعيل المضمون الدلالي لقوله وهو تعميق إحساس المستمع بخطورة التفرقة التي تجلب الخوف وتسلب الأمن.

ومن طباق الإيجاب، وهو كثير في خطبة ابن عاصم، قوله في تراكيب قصيرة ومتتابعة ذات إيقاع قوي، مكونة من كلمتين متضادتين لا فاصل بينها: "بيده البسط والقبض، والرشد والغى، والمنح والمنع، والضر والنفع، والبطء والعجل، والرزق والأجل، والمسرة والمساءة، والإحسان والإساءة، والإدراك والفوت" فهو يأتي بالطباق في تراكيب مخصوصة له، فيؤسس بالجملة الأولى المبدوءة بشبه جملة من جار ومجرور (بيده) ويجعلها خبراً مقدماً، ثم يأتي بمصروفة من الأضداد فيفتتح بالمبتدأ المؤخر (الرفع) ثم يأتي بضده (الخفض) ثم يبدأ بسلسلة معطوفات كلها أضداد، في تراكيب متوازية ذات إيقاع قوي مكونة من كلمتين متضادتين لا فاصل بينها، وكأنه يحشدها حشداً فيطرق بها أذن السامع وعقله.

فالتناقضات المتضادة هنا استرسلت وتدافعت وجاءت متتالية لا يوجد فاصل بينها لأن الفاعل واحد وهو الله سبحانه تعالى، وقد أدت هذه التناقضات المتلاحقة ما لا يخفى من إبراز المعنى والتدليل على ما أصاب الأندلس في تلك الفترة، والسبيل إلى الخلاص مما حل بها، وهذا ما أراد ابن عاصم بيانه.

وقد يجعل الطباق في قالب يراوح فيه بين الاسم والفعل، وهو كثير في ثنايا الخطبة كما في قوله: "وهو يرفع من تواضع له، وينجح قوله وعمله، وهو العلي الكبير، هيأ الفتح، وأجزل المنح، وأجمل الصنيعة، وكف الغصص الشنيعة، وسئ الألفاظ، وأدنى من ثمرات السعد القطاف، سبحانه الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون". فقد طابق بين الأسماء (السموات والأرض)، والمصادر (الرفع والتواضع)، كذلك بين الأفعال (أجزل وكف) وهي أفعال ماضية، وبين (تمسون وتصبحون) وهي أفعال مضارعة، وبين الاسم والفعل (عشياً وتظهرون).

كما كانت للمقابلة حضورها الفاعل في هذه الخطبة، وهي أن تأتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب (ابن جعفر، نقد الشعر، ص 84)، وقد تناول ابن رشيق المقابلة بقوله: "وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه. وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضددين كان مقابلة (القرويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 2 / 15). وتنقسم إلى المقابلة الظاهرة وهي أن تأتي المعاني المتقابلة في النص ظاهرة، أي أن ينص المتحدث على المعاني المتقابلة، خلافاً للخفية التي تسمى للمعنى المقابل إيماءً ضمناً.

ومن المقابلة الظاهرة في خطبة ابن عاصم قوله: "فأنا أناشده الله هل بات قط بمصالح النصارى وسلطانهم مهتماً، وأصبح من خطب طرقيهم مغتماً" إن الموازنة بين (بات وأصبح) وبين (مهتماً ومغتماً) بين ما كان عليه من اهتمام بمصالح النصارى وسلطانهم، وبين ما أصبح عليه من غم لطرقيهم يجعل البون شاسعاً بين الاثنين، فجاءت هذه الصورة المتقابلة لتحديد لنا هذا الصنف من الناس. ويقول في موضع آخر: "يبعد بها القريب ويقرب بها البعيد" مقابلة تشتمل على معنيين (يبعد ويقرب) ثم يأتي ما يقابلها (القريب والبعيد) وهذه المقابلة بين المعاني تؤكد المعنى وتجليه، وتوضحه توضيحاً كاملاً.

وقد تكون المقابلة خفية وهي أن يذكر معنى ما، وفي ألفاظه تضمين للمعنى المضاد، من ذلك قوله: "مهما كانت الكلمة مؤتلفة، والأهواء لا مفترقة ولا مختلفة، والعلماء بمعاناة اتقاق القلوب إلى الله مزدلفة، فالحرب إذ ذاك سجال، والله في إقامة الجهاد في سبيله رجال، وللممانعة في غرض الموافقة ميدان ومجال، وروية وارتجال، إلى أن استقلت هذه الدولة النصرانية على قواعد الراسخة، واستقرت بأحلامها الراجحة وأعلامها الشامخة،..". فهو يبين أن أمر الدولة انتهى على خير، فقد شمخت أعلامها، ورجحت أحلامها، وأقيمت الدولة على أعمدة راسخة، حيث أسس للمعنى المقابل بهذا في البداية، فالمفهوم من قوله: "إلى أن استقلت هذه الدولة النصرانية...."، يفهم السامع أن الحال لم تكن كذلك، بل كانت مفترقة، والكلمة مشتتة، والدولة مفتتة، مع أنه لم يصرح بهذا، إلا أنه أفهمنا هذا المعنى من مقابله.

القسم الثاني:

وفي هذا القسم نتوقف عند المظاهر الأسلوبية المختلفة في هذه الخطبة، وهي مظاهر متعددة متداخلة كانت معينا لابن عاصم في الوصول إلى غايته، التي سعى إليها، وصرح بها من وراء خطبته، فهو "دراسة للصيغ التعبيرية في لغة النص، مستندة إلى

مضمونها المؤثر في المتلقي" (سانديرس، نحو نظرية لسانية أسلوبية، ص33)، ومن هذا المنطلق تكون الدراسة الأسلوبية جامعة لتحليل النص المدروس وفق "مناهج اللسانيات وأسسها من ناحية، ومناهج علم الأدب وأسسها من ناحية أخرى" (السابق، ص19).

إذا فاللغة هي عماد الدراسة الأسلوبية ولا يمكن دراسة المستويات الأسلوبية، وما يحمله كل مستوى إلا من خلالها، فهي التي تحمل تلك الدلالات التعبيرية الداخلية وكذلك الخارجية للنص، وتظل هي الجانب الملموس الذي يفسر ما يتركه النص من انطباعات وتأثيرات في المتلقين، فتحمل في جوانبها المختلفة دلالات كافية لاحتواء المستويات الأسلوبية المتعددة، من خلال لغة النص، حيث تقوم الدراسة الأسلوبية بمعالجة النص من خلال مادته الأساسية التي هي اللغة، وبواسطتها يتم رصد الظواهر اللغوية البارزة ودلالاتها وما حملته، وهي بطبيعتها لا تدرس اللغة في حد ذاتها وإنما توظف اللغة لدراسة النص. (ميس، المنهج الأسلوب في تحليل النص، ص159).

وهذه الخطبة وهي كغيرها من الخطب تقوم على التلقي، الذي نجده من متلق موجود فعلا توجهت له الخطبة لفظا، ومضمونا، وتوجيها، ومتلق على مدى العصور يفهم ما يقال من خلال لغة النص، "فهو يقرأ عقل الخطيب من خلال كلمات خطبته التي صاغها على وجه مخصوص، لجمهور محدد مما يستبعد بقاء علم الأسلوب بمنأى عن التأثير بنتائج اللسانيات الاجتماعية الحديثة، التي تدرس العلاقة الوثيقة بين الأثر اللغوي والظروف الاجتماعية التي ولد فيها هذا الأثر" (نحو نظرية لسانية، ص22).

ومن هذا المنطلق يمكن الحديث عن هذا الأثر الفني الذي دعت له دواع اجتماعية، سواء من الملقى (المرسل) أو المتلقي، وهذا ما يخبر به قائلها من سبب قوله لها، كما أنه يصرح بالمجتمع الذي صيغت له، وفي وقفة عند المستويات الأسلوبية التي نتناول الخطبة من خلالها، وعمادها المستوى الدلالي الذي يبدو الأكثر حضوراً، على مدار الخطبة، فالدرس الأسلوب يمكن أن يتخذ طريقين لسبر أغوار النص :

الأول : يبدأ من أدوات اللغة المختلفة المستعملة وفق نظام خاص، للوصول إلى الأثر المتروك في النفس، والآخر : الأثر المتروك في نفس المتلقي والاستدلال من خلاله على الوسائل اللغوية المستعملة في إحداثه (فضل، الأسلوبية، ص201، 202)

وبذلك فمستويات الأسلوبية المختلفة ذات جانب دلالي، -هو المسؤول عن ترك الأثر الذي يلامس نفس المتلقي -، مما يجعل من الصعوبة الفصل بين هذه المستويات، وتحديدًا تخصيص الدلالة بمستوى مستقل عن باقي المستويات فهي شريكة لها جميعا.

المستوى التركيبي :

وهو مستوى يتم فيه تطويع أدوات اللغة ومفرداتها بشكل مباشر للغرض الذي يريده الكاتب فيستعمل "لغة خاصة، وأساليب مميزة، يستطيع بواسطتها نقل القارئ من حالة اللامبالاة إلى حالة الوعي الكامل بالعمل الذي يقدمه" (ميس، المنهج الأسلوب، ص158)، إذا فنحن في حالة انتقاء واختيار من الأدوات المختلفة للغة، يقوم بها الأديب فيتميز بهذا الاختيار عن غيره من الأدباء لأن كل نص له خصوصيته وإن كان من جنس نصوص أخرى، يكتسب هذه الخصوصية من موضوعه وكاتبه والملابسات التي أحاطت بكتابته. وهذا النص يتجاذبه الأسلوبان، الخبري (الهاشمي، جواهر البلاغة، ص55-57) والإنشائي (السابق، ص69)، حيث كان للأسلوب الخبري مكانته المميزة في الخطبة بتنوع أضربه عند إلقائه بين ابتدائي وطلبي وإنكاري، وفي اشتماله على أساليب نحوية لها خصوصية اكتسبتها من اختيار الخطيب لها ". فالنص الإبداعي يقدم المعرفة أو التجربة الإنسانية، بوسيلة خاصة هي اللغة، ولكننا لا نعني هنا اللغة العادية، وإنما نعني اللغة الفنية التي تتجاوز مرحلة التعبير العادي إلى تعبير خاص لا يقدر عليه إلا صاحب تجربة خاصة، تجعله يتعامل مع اللغة والعالم من حوله تعاملًا خاصًا مما كان لها دورها في النهوض بمراد الخطيب"، (ميس، المنهج الأسلوب، ص159).

وابن عاصم في إخباره يبدو واثقا مما يقول متصرفا في فنون القول سواء عند الحديث عن الحال السابق وما أدى إليه، أو الحال الراهن وما أوصل إليه، ويبدو ذلك في قوله بداية الخطبة، وفيها تبدو الروح والهمة العالية بربط تصريف الأمور بالجملة الخبرية : "إن الله على كل شيء قدير" وعطف عليها جملة خبرية جديدة وهي : "وإنه بعباده لخبير بصير"، وفيهما يبدو اليقين

الذي وصلنا من التأكيد، بـ "إن" في الأولى و بـ "إن واللام" في الثانية، ثم إتباعهما بجملة من الأخبار اللاتي تدور في فلكهما "هو يرفع من تواضع له"

ومن ذلك أيضاً قوله متحدثاً عن الأحوال الراهنة: "وإن في أحوال الوقت الراهنة ذكرى لمن كان له قلب"، وفيها تبدو الثقة التي دلل عليها بتوكيد مضاعف بـ "إن واللام" حيث نقل خبراً يفيد أن الاستقرار والنصر للمسلمين لا يكون إلا بالاتفاق والالتزام بمبادئ الشريعة السمحة .

وكذلك قوله: "وبينما الفرقة حاصلة والقطيعة" ، وإذا بالقلوب قد انتلفت، والمنافرة قد اجتمعت، بعدما اختلفت، والأفئدة بالبيئة إلى الألفة قد اقتربت" وهكذا تتوالى الأخبار المؤكدة بقدر المقترنة بالفعل الماضي، مبشرة ومتفائلة بما قد تحقق من بشائر النصر.

وفي إطار الأسلوب الخبري، يطالعنا أسلوب الشرط بنوعيه الجازم وغير الجازم، وعماد هذا الأسلوب ربط طرفي الكلام بواسطة أداة الشرط، وهو بهذا المفهوم تنطبق عليه صفة الجزئية المؤثرة في عموم الأسلوب لكاتب ما، "حيث تبدو الدراسة بهذه الصفة جزئية جداً، كاستعمال أداة التعريف، أو ظاهرة ما، أو بعض الظروف، ولكنها مفيدة ومضيئة للعمل الإبداعي، فهي تكسبه قيمة تعبيرية خاصة، مميزة ومؤثرة في العمل الإبداعي كله" (شكري، مدخل إلى علم الأسلوب، ص 62). وفضل، علم الأسلوب، ص 188)، وهو من الأساليب التي لعبت دوراً بارزاً في خطبة ابن عاصم، حيث وظفه توظيفاً يجذب الأسماع، وينبّه العقول من غفلتها ومن ذلك قوله: "وإذا كان الابتلاء، ورفع ما يقتضيه الإملاء، وعظم الاختبار والتمحيص، وأعوز المناص والمحيص، فإننا لله وإنا إليه راجعون". لقد عمد ابن عاصم إلى هذا الأسلوب لما أراد أن يجعل في يقين المتلقيين أن الأمر كله لله، وذلك بعرضه الحال والشدة الذي هم فيها وانقطاع الأسباب والحيل، فلما أيقن المتلقي بانقطاع الأسباب، جاء الجواب وهو مآل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، والتوجيه الضمني لهم للتعلق بأسباب الله جل وعلا، وهو بذلك يهيئ الأذهان إلى مراده من الخطبة، وهو الالتفاف حول الدين ولزوم الجماعة ونبذ الفرقة.

ومن ذلك أيضاً موظفاً هذا الأسلوب ضمن الأسلوب الخبري المؤكد قوله: "فإنما إذا نظرنا إلى ما كان من طرق الابتلاء، وشاهدنا ما كان معروضاً للوقوع من البلاء، وراجعنا البصيرة في النعم التي كنا فيها، مسلوبين" فلاشك أن المؤاخذه كانت بسبب تلك الذنوب، وأن الجناية هي التي أوجبت ما طرقتنا من الخطوب"، وهو إذ يُسهب بالحديث بين فعل الشرط وجوابه يحشد في الشق الأول من المثالب والنقائص التي لحقت المسلمين ما يفحم به المتلقيين، فيرصد تقصيرهم وتخاذلهم ويُذكر بأسباب هزيمتهم، حتى يتوقع المتلقي ما سيكون عليه الجواب، ثم يأتي جواب الشرط موافقاً لما توقعه، وذلك لأن ابن عاصم أحكم نسج عباراته وأحاط بأطراف مراده، فتهياً المتلقي لتلك النتيجة، وأذعنت نفسه لما آل إليه حاله فلا يمكنه الاعتراض بأي حال من الأحوال.

ويتداخل أسلوب الحصر مع أسلوب الشرط في إطار الأسلوب الخبري في أثناء هذه الخطبة، وذلك في قوله: "ومن استقرأ التواريخ المنصوصة، وأخبار الملوك المقصوصة، علم أن النصارى- دمرهم الله- لم يدركوا في المسلمين ثأراً ولم" إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف" فهو لم يكتف بمؤكدات الخبر المعروفة، وإنما ساق الخبر في أسلوبين، الأول وهو أسلوب الشرط الذي ربط فيه بين معرفة التاريخ، وما يترتب عليه من يقين بشدة الأذى الذي يضره النصارى للمسلمين، ثم يربط بأسلوب الحصر بين الأذى الذي يلحق بالمسلمين وبين تمكّن أسباب الخلاف، وهو في أثناء ذلك يعزز مقالته بالدعاء على النصارى بأن يدمرهم الله، وبذلك فهو لا يترك أي ثغرة قد يتسلل منها حسن الظن بالنصارى على مدى الزمان .

وما نكاد نظمئن إلى الأسلوب الخبري، حتى يطل علينا الأسلوب الإنشائي بكثير من إمكانياته، ومن ذلك:

- أسلوب الاستفهام (الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 78 وما بعدها) ، لقد كان لهذا الأسلوب بما يحمله من معان متعددة، تخرج به عن غرضه الحقيقي إلى أغراض أخرى ، لها مكانة متميزة في هذه الخطبة ، وخاصة عندما نجده استفهاماً إنكارياً تعجبياً جمعت فيه مفاصد عقيدة النصارى ونتج عن هذا الاستفهام استفهام آخر، يقول ابن عاصم: "فأنا أناشده الله هل بات بمصالح النصارى وسلطانهم مهتماً؟ وأصبح من خطب طرقيهم مغتماً؟ ونظر لهم نظر المفكر في العاقبة الحسنى؟ أو قصد لهم قصد المدبر في العيشة المستحسنة؟ أو خطر على قلبه أن يحفظ في سبيل القرية أربابهم وصلبانهم؟ أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترصاه أخبارهم ورهبانهم؟".

فالاستفهام هنا موجّه إلى الجمهور الأندلسي الذين يتوجب عليهم الإجابة، ولكن منعهم من الإجابة أن ابن عاصم أجاب نيابة عنهم، فصيغة الاستفهام هنا تعني الاستنكار، وهم إن أجابوا بنعم أثبتوا على أنفسهم الولاء للنصارى، وهذا يستنكر ويستبعد، وإن أجابوا بلا وجب عليهم تحمل مسؤولية ما قالوا، لذلك تصدى للإجابة فقال معرضاً بمن سار في ركاب النصارى: "فإن لم يكن يدين بدينهم الخبيث، ولم يشرب قلبه حب التثليث، ويكون صادق للهجة، منصفاً عند قيام الحجة، فسيُعترف بأن ذلك لم يخطر قط له على خاطر، ولا مرّ له ببال".

ومن أغراض الاستفهام المستعملة في الخطبة، التأكيد وذلك في قوله في آخر الخطبة: "اللهم هل بلغت؟ وبالغت في النصيح وأبلغت؟"، فهو استفهام أكد من خلاله الإبلاغ والتوصيل والمبالغة فيهما من خلال ذكره لهما ضمن السؤال الذي طرحه والذي لا ينتظر له إجابة.

ومن الأساليب الإنشائية المستعملة في الخطبة أسلوب الإغراء للترغيب فيما دعا إليه، فقال: "الوفاء الوفاء حتماً إن أردنا أن نكون من المفلحين"، فكرر ما ابن عاصم للدلالة على أهميتها ولإغراء السامعين بها، فالطريق الموصلة للنصر لن يكون إلا بالوفاء، والله سبحانه وتعالى سلب عليهم هذا العدو لأنهم أعانوه، فكانت هذه الأزمات تنبيهاً من الله على ما عطلوا من حدوده، وإيقاظاً من الغفلة عن القيام بحقوقه والوفاء بعهوده ولذا كررها .

- أيضاً استعمل ابن عاصم أسلوبياً الأمر والنهي لشد انتباه المتلقي بمسار الخطبة، وإلزامه بمقتضى فحواها، كما أنها تعينه على تحقيق هدفه دون تمهل، يقول: "تعاقدوا عن أن لا تبغوا من الخلاف أثراً" فهذه معادلة منطقية موجهة إلى الجمهور الأندلسي، وطرفاً هذه المعادلة هما فعل الأمر المتمثل في قوله (تعاقدوا) وصيغة الأمر موجهة لخواص الدولة الغالبية الذين يدركون المعنى وغايته، ولكنهم قد يتناسونه أو يغفلون عنه، فلا بدّ من تذكيرهم وتوجيههم، والطرف الثاني يتمثل في النهي (لا تبغوا) وهي تسهم في زجرهم وتحذيرهم من الخلاف الذي يفضي بهم إلى الهلاك، وكذلك يأمرهم محذراً بقوله: "وليحذر نسيان ما ذكرنا به فلم نذكر بتلك الشدائد لننساها"، فهو يحذرهم من نسيان ما مروا به من شدائد، وأدواته في ذلك لام الأمر والفعل المضارع، ودلالة الفعل المعجمية .

كما أننا نجد الإلحاح في الدعاء، وفي أكثر من موضع، في وسط الخطبة وفي نهايتها كقوله: "اللهم بابك قصدنا وقبولك أردنا" "اللهم إنا بك منتصرون وبِعِزِّكَ مستظهرون" "اللهم انصر من بايعناه سلطاناً ومهدّ به بلاداً وأوطاناً" "اللهم اعمر بالمسرة باديه وكافئ عنا أياديه واكتب اللهم أعاديه". وفي الإلحاح بالدعاء دلالة على صدق التوكل على الله سبحانه وتعالى وربط النصر والاستقرار، بأمر الله جل وعلا . فهو يأتي بجملة من الأوصاف المؤكدة لنفاق العدو لينبّه عليها، ثم يعرض بمن يسير في ركابه من أبناء الوطن، وكأنّه بذلك يقدم التأييد على النصيح لمن أراد أن يغتر بما جاء به العدو، ومن سار في ركابهم "فتبا لعقول تقبل مثل هذا المحال، وليت المغرور الذي يقبل هذا لو فكر في نفسه، وعرض هذا المسموع على مدركات حسّه، وراجع أوليات عقله وتجربيات حدسه، وقاس عدوه الذي لا ترجى مودته على أبناء جنسه".

المستوى المعجمي:

وهو مستوى متعدد الأبعاد تتجاوب فيه الألفاظ مع المستوى الدلالي، الذي تكتسبه من خلال تنوع الاستعمالات، حيث يأتي متمكناً من دوره التأثيري في العمل الإبداعي وذلك من خلال توظيف جملة من الكلمات التي توصف بأنها "تتمتع بطاقة تعبيرية داخلية وطبيعية يقف فيها الذهن على علاقة بين شكل الكلمة ومعناها، ومن هنا فهي تمتلك فريدة لا تمتلكها معظم كلمات اللغة" (جيرو، الأسلوبية، ص53) وذلك في:

استعمال الألفاظ المترادفة للمعنى الواحد، التي يأتي بها متجاورة فيكسبها زخماً دلالياً مؤثراً، ومن ذلك الألفاظ الدالة على الهلاك من مثل (قضم، هضم، كظم، خضم) في قوله: "الطاغية يتمطى لخضم الوطن وقضمه، ويلحظه لحظ المتلف على هضمه، والأخذ بكظمه" حيث استعملها مترادفة متجاورة في سياق عزز مراده من تصوير شناعة الحال الذي قد يصلون إليه إن هم تخاذلوا وتفرقوا.

وفي موضع آخر استعمل الألفاظ الدالة على القطيعة، من مثل: (الفرقة، انبتات، بتات، ممات، خلاف، شتى، أشتات)، وذلك في قوله: "بينما الفرقة حاصلة، والقطيعة فاصلة، والمضرة واصله، والحبلى في انبتات، والوطن في بتات، والخلاف يمنع رعي

مات، والقلوب شتى من قوم أشتات"، فقد جاءت هذه الكلمات في سياق متجاوزة مترادفة تلح على مراد ابن عاصم، بما لا يدع مجالاً للذهن أن ينصرف عن مراده من تمكن القطيعة بينهم إن عمّ الخلاف والشقاق بين المسلمين، بما يُمكن عدوهم منهم.

التكرار للجزر اللغوي الواحد بصيغ صرفية متعددة، وإن كان عند استعماله للألفاظ الدالة على القطيعة والفرقة أتى بالمترادفات، فعند الحديث عن النصر، أتى باللفظ ذاته ولكن مكرراً بصيغ صرفية متعددة من مثل (النصر، ينصرون، النصر، فنصره، منتصرون، انصر، نصيراً، النصير)، وذلك في قوله: "زين بأنجم السعود من النصر الموعود""نستوهب من التأييد والنصر والفتح""خذلونا أكثر ما كانوا ينصروننا""أتيت له النصر من محل لم يحسبها فيه""فنصره الله""اللهم إنا بك منصورون""اللهم انصر من بايعناه سلطاناً""اللهم كن لنا ولياً ونصيراً""نعم المولى ونعم النصير".

وكذلك الحال عند حديثه عن الاجتماع (اجتماع، نجتمع، مجموعة، بجمع، اجتمعت، تجمعت، جمع، نجتمع) وكأنه بهذا التكرار اللفظي النصر والاجتماع لا يرى مرادفاً ولا بديلاً لهما. ويبدو هذا التنوع في استخدام الصيغ المختلفة ذو دلالة خاصة فقد نقل ابن عاصم رؤيته "عبر التوزيعات المتواترة لعناصره بكل خصائصها اللسانية، واحتمالات نقلها، ولا سيما حين تكون هذه الخصائص متميزة عن تلك الخصائص التي تماثلها في اللغة الكلية" (ساندريس، نحو نظرية لسانية أسلوبية، ص38)

ومما يشار إليه في المستوى المعجمي اللواصق واللواحق التي تلحق ببعض الكلمات فتكسبها بعداً معجمياً جديداً إضافة إلى معناها المعجمي الأصلي (فضل، علم الأسلوب، ص31). ومن ذلك براعة ابن عاصم في استعمال صيغ صرفية مناسبة للمقام الذي يتناولها، وبها يكون قادراً على جذب اهتمام القارئ من مثل:

استعمال المصدر "إفعال" وهو مصدر للفعل الرباعي المزيد بالهمزة "أفعل" الذي من معانيه التعدية والتمكين (الحملوي، شذا العرف في فن الصرف، ص77، 78) لما أراد الإشارة إلى سوء نوايا العدو وشدة وقوعه في المسلمين، وذلك في قوله: "إعمال الحيلة على المؤمنين" "إضمار المكيدة للموحدين" وكأنه بهذا الاستعمال يشي إلى أنها صفة لازمة للعدو لا تنفك عنه، ولا يأل جهداً في السعي إليها وهنا ينبه ويقرع ناقوس الخطر لمن سار في ركاب العدو.

أما إذا كان الكلام في مقام إرساء قواعد النصر وعظم ما تكبدته الأمة الأندلسية في تلك الحقبة، فنجد استخدام من الصيغ الصرفية ما يؤدي مراده وهي الصيغ التي تحمل دلالة الاجتهاد والطلب، من الأفعال "افتعل، استفعل" ومصادرهما افتعال و استفعال، الذين يدلان في بعض معانيهما على اتخاذ والاجتهاد في الطلب، ومن دلالاتهما أيضاً التشارك والإظهار، والمبالغة (الحملوي، شذا العرف في فن الصرف، ص83، 84)، ومن ذلك قوله: "القلوب قد ائتلفت" و"المنافرة قد اجتمعت" "والأفئدة بالبيئة إلى الألفة قد اقتربت إلى الله وازدلفت" ووضحت لها في استخلاص...""استقلت هذه الدولة...""استقرت بأحلامها.....""استظهرت أبناؤها الغر بشيم.....".

أما إذا ما تعلق الأمر بالمقدرة الإلهية وجدنا من الصيغ الصرفية ما يدل على تلك الحال من السهولة والسلاسة في تيسير الأمور، وذلك قوله: "الحمد لله الذي عوّض... وأعقب... ويسر... وزين... وعقد....." حيث يمضي في المراوحة بين الفعل الثلاثي المجرد، والمزيد بحرف واحد الذي يحمل في ثناياه دلالة التعدي وتأكيد الحصول دون عناء.

كما يدخل ضمن الدلالة المعجمية استخدامه الفعل المبني للمجهول عند الحديث عن الخلاف والفرقة وذلك في قوله "وإذا بالنعمة قد كُفرت، والذمة قد خُفرت....."، فهو يشير إلى خائن ولكن من غير تصريح أو تأنيب، وكأنه بذلك يتلطف لاستمالة القلوب، حتى لا يسرف الظالم في ظلمه، بل يترك له فرصة العودة عن ظلمه وتعديه، فينسب ما يكره من الأفعال إلى المجهول فلا يجد المقصود حرجاً في العودة عن غيه.

- ومن الدلالات المعجمية في الخطبة استخدام الضمائر، حيث استخدم ابن عاصم ضمير المتكلم (نا) في قوله (نسونا، يذكروننا، خذلونا، ينصروننا، أسلمونا، ينجدوننا، تركونا، يسعدونا، خانونا) ليعبر عن حالة نفسية فيها حزن وغضب، وليفتح باباً آخر أمام السامعين له من أخذ الحيلة والحذر من هذا العدو الذي يتربص بهم، وقد جمع نفسه إلى المتلقين ليتقرب منهم ويجعل من الألفة رابطاً بينهم، وقد بالغ في الجمع بينه وبين المتلقين ليؤكد على أن حاله من حالهم، وما يمسه يمسه ويؤثر فيه، فيكون ذلك أدعى إلى إنصاتهم واستجابتهم لنصحه وحثه.

المستوى الصوتي :

وهو من أهم مستويات التحليل الأسلوبي، قائم على اللغة، ينظر في دلالة تجاور الألفاظ من ناحية، ومراعاة الجرس الموسيقي ودلالته على المعنى من ناحية أخرى، وهو إذ ينظر في أصوات النص يجعل نصب عينيه نوعين من الأصوات تقوم عليهما الدراسة الأسلوبية :

- 1- الأصوات الندائية : التي تدرس المتغيرات الصوتية التي تهدف إلى إحداث أثر في السامع.
- 2- الأصوات التعبيرية : المتغيرات الناجمة عن المزاج والسلوك العفوي للمتكلم . (جبرو، الأسلوبية ، ص52 . والبعول، الأسلوبية الصوتية اتجاهاً نقدياً ، ص320)

ويتجسد ذلك في: المحسنات البديعية التي أكثر ابن عاصم من استعمالها، كالسجع بأنواعه (الحموي ، خزانة الأدب ، 2 / 411)، والجناس (ابن رشيق ، العمدة ، 1 / 265 .) وما اختلط من الجناس بالمطابقة (السابق ، 2 / 11) اللذين يتقاطعان غالباً في الاستخدام، فالجناس يساند السجع خاصة إذا ما وقع في أواخر الجمل كقوله: "وبينما الفرقة حاصلة، والقطيعة فاصلة، والمضرة واصله"، فمثل هذه الموازنة بين الجمل الثلاثة أفادت مراد ابن عاصم وخدمت المعنى، فعندما ختم الجمل بألفاظ مسجوعة ويربطها جناس ناقص ، استثار الانتباه بتلك الجمل القصيرة التي تدل على ضيق ابن عاصم وتبرمه بما يتحدث عنه، كما نبه على خطورة الحال الذي كانوا فيه، من خلال كل كلمة مسجوعة وما سبقها، وهنا يتداخل البعد الصوتي مع البعد الدلالي المعجمي للألفاظ المسجوعة، التي تدل دلالة قاطعة على سوء الحال السابق، الذي كانوا عليه بما لا يدع مجالاً للاعتراض على ما يقول، وما يروم من خطبته، وهذا ينسحب على قوله "والحبل في انبتات، والوطن في بتات، والخلاف يمنع رعي ممات، والقلوب شتى من قوم أشتات"، حيث حشد من خلال المتواليات المسجوعة - التي ربطت المستمع بما يريده ابن عاصم - جملة من الألفاظ التي تحمل دلالة القطيعة والفرقة بما يعزز المعنى الذي يطلبه من خطبته، فينفر من الحال السابق وبينه إلى خطورته وسوء عاقبته على من يدعو إليه أو يخضع له، وهذا المستوى يمتد على مدار الخطبة، ومن ذلك أيضاً قوله: "والطاغية يتمطى لخضم الوطن وقضمه، ويلحظ لحظ المتلهف على هضمه، والأخذ بكظمه"، وهو هنا قد ختم جملة بجملة من المتجانسات المسجوعات تحمل دلالة الإفناء والهلاك للوطن وأهله وربطها بالطاغية، الذي يسعى لها بكل ما أوتي من قوة، ويتربص بهم الدوائر.

فلما تحدثت عن تبدل الحال، طالت العبارات ولكنها انضبطت بالسجع والجناس معاً، فنجدته يقول: "وإذا بالقلوب قد انتلفت، والمنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت ،والأفئدة بالبينة إلى الألفة قد اقتربت، والمتضرعة إلى الله قد انتهت في إصلاح الحالة التي سلفت"، معتمداً في تصوير ذلك الاطمئنان من خلال تاء التأنيث الساكنة، كذلك في قوله: "وأذنت الفرقة النافرة مزارها، وجلت الألفة الدينية أنوارها، وأوضحت العصمة الشرعية آثارها، وأرضت الخلافة الغالبية أنصارها، وغضت الفئة المعترضة أنصارها، وأصلح الله أسرارها، وتجمعت الأوطان بالطاعة، والتزمت نصيحة الدين بأقصى الاستطاعة، وتسابقت متناغية إلى لزوم السنة والجماعة، وألفت إلى الإمامة الغالبية يد التسليم والضراعة..."، فالسجع والجناس هنا ليسا من المحسنات اللفظية المقصودة للزخرفة والزينة فحسب، بل هما قيمة جمالية يتطلبها المعنى، إذ هما جزء من بنية النص ونسيجه، فليست غايتهما مقصورة على الوظيفة الجمالية ممثلة في التناغم الموسيقي الحاصل من تعادل العبارات المسجوعة، أو الموسيقى اللفظية الناتجة من الألفاظ المتجانسة، وإنما لغايات فكرية وفنية قصدها ابن عاصم، بمعنى آخر أن السجع والجناس تابعان للمعنى، فأينما نتجه الدلالة يتجه السجع والجناس بتنويعات تمس الأصوات، وبذلك فقد أديا وظائف جليلة في سياقهما ساهمت في إبراز المعنى المقصود منه . (البعلول ، الأسلوبية الصوتية ، ص320)

والسجع بخاصية ضبطه أواخر الجمل التي تراوحت بين الطول والقصر، يبرز حالة ابن عاصم النفسية كالاطمئنان الذي يظهر في قوله: "إلى أن استقلت هذه الدولة النصرانية على قواعدها الراسخة، واستقرت بأحلامها الراجحة، وأعلامها الشامخة، واستمرت على قوانين من السياسة كانت ضابطة نشر للمملكة من الافتراق"، والغضب الذي يظهر في قوله: "فتباً لعقول تقبل هذا المحال، وتصدق هذا الكذب البحث بوجه أو بحال"، والفرح في قوله: "وانتظم للملك جسم وأحواله روح طاهر، واستقل الإسلام رسماً ثابتاً حكمه نص وعدله ظاهر، وهدي الله المسلمين من جمع الكلمة إلى القصد الشرعي"، والحزن الذي نلحظه في قوله: "ولا أمل للطاغية إلا في التمرس بالإسلام والمسلمين، وإعمال الحيلة على المؤمنين، وإضممار المكيدة للموحدين، واستيطان الخديعة للمجاهدين"، إلى غير ذلك من العبارات التي حفلت بها الخطبة.

وكما سلف يتلامس الطباق مع السجع والجناس في كثير من المواضع التي حفلت بكلمتين متطابقتين مسجوعتين متجانستين معززا موسيقاها، من مثل قوله: "وتناولت الأيام بين مهادنة ومقاطعة، ومقاربة ومقارعة، ومنازلة ومنازعة، وموافقة وممانعة، ومحاربة وموادعة، ولا أمل للطاغية إلا في التمرس بالإسلام والمسلمين"، فهو يستعمل الطباق قصداً إلى التنويع في أساليب

الخطاب، فكما يأتي بالمترادفات، والألفاظ المتجانسة صوتياً فإنه يأتي بالطباق فيجعله أسلوباً للإقناع والتأثير، وقد أدت هذه الثنائيات المتلاحقة ما لا يخفى من إبراز المعنى، والتدليل على ما أصاب الأندلس في تلك الفترة، فجاء ابن عاصم بعدة طباقات متتابعة متوافقة موضوعياً وفنياً، مع غرض الخطبة زين بها النص، وحسن من موقعه في النفس، لما يحمله من دلالات ومضامين فكرية وفنية، منسجمة ومتناغمة، حيث سعى إلى التناسب الصوتي بين أحرف ألفاظه، فعمد إلى تكرار حروف بعينها في عدة ألفاظ متتالية في الجملة الواحدة من أجل إعطاء قوة في التعبير، وتكثيفاً للمعنى، وفي الوقت نفسه زيادة الدفق الموسيقي في النص، ذلك أن العلاقات بين الأصوات تمنح الموسيقى مغزاهاً، وفي هذه التراكيب استحدثت لذة نغمية من خلال ترديده لحرفي العين والتاء معا في أكثر من موضع.

و من الملامح الأسلوبية في هذا الخطبة التي تعود بنا إلى الربط بين النص ومبدعه وأثر ثقافته وبينته فيما يكتب (فضل ، علم الأسلوب ،ص203) الأثر الديني الذي يبدو واضحاً جلياً في الخطبة بما لا يدع مجالاً للشك في ثقافة ابن عاصم الدينية وتمكنها منه، وتجسد هذا الأثر فيما يلي:

- تضمين آيات من القرآن الكريم بنصها والتقديم لها بقوله: "وفي مثلها قال الله تعالى" "وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا" آل عمران ، الآية 103 وأشار إليها صراحة ، وفي موضع آخر قوله بعد حديثه عن نعم الله على الناس ، يقول حسبما شهد ذلك برهان الوجود : "وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" إبراهيم ، الآية 34. وهذا الاستعمال شائع على مدار الخطبة.
- الاقتباس من القرآن الكريم اقتباساً مباشراً من مثل قوله: "سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون...." يشير إلى سورة الروم ، الآية 17 من غير الإشارة لها نصاً وقوله : "تضع الحرب أوزارها " محمد ، الآية 4 وهو كثير في الخطبة.
- الاقتباس من القرآن الكريم اقتباساً لفظياً يخدم غرضه، ولكن في غير المعنى المقصود في القرآن الكريم ، ومن مثل قوله : "ونتحمل بأمانته العظيمة فلا نأبى من حملها إشفاقاً " الأحزاب ، 72، حيث جاء في معرض الحديث عن شكره لنعمة الله على الاتفاق بين المسلمين في بلاد الأندلس، وليس هو المعنى المقصود في القرآن الكريم. وقوله : "وهو الذي ينزل الغيث....." الشورى ، 28، فالآية سياقها يشير إلى الغيث الذي ينزله الله من السماء بعد قنوط الناس من السقيا، فتعود الحياة للأرض وما عليها، ويعم الخير ويزول القنوط والخطيب جاء بهذا الاقتباس يشير به إلى النصر بعد الهزائم المتعاقبة .
- ومن أثر ثقافته في هذه الخطبة اقتباس بعض المصطلحات الفقهية، ولا غرو فقد كان فقيها عالماً كما أنه كان من أكبر فقهاء غرناطة وعلمائها (التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص 313)، من مثل مصطلحات القواعد الخمس في قوله : "وثابت بثبوت القواعد الخمس "الفقه، الأخذ، والترك، والريب والشك، في قوله: "فالواجب عليناونعتمد صريح الفقه أخذاً وتركاً، ونتبع صريح النقل الذي لا يدع ريباً، ولا يبقى شكاً"، وقوله: "عقده التثليث؛ ملته المنسوخة، وقضيته المفسوخة "، وكذلك قوله: "جلب المنفعة أو دفع المضرة "، ومن ذلك: "فاتحاد السلطان فيواجب قياساً وسماعاً، وتعدد الخلافة.....غير جائز إجماعاً"، ومنه: "ويؤكد الترغيب والترهيب ".

كما كان لمستوى الصورة الفنية، بما فيها من إمكانات تعبيرية، دوره في تعزيز مراد ابن عاصم من وراء هذه الخطبة الثرة الفياضة، التي وظفت إمكانات اللغة بكل تقنياتها المباشرة، وغير المباشرة من تشبيه واستعارة وكناية "فالحديث اللساني هو تركيب عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة، وهما اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة، ثم تركيبها لها تركيباً تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في الاستعمال" (المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص 76، 77)، ومن سبل التصرف في الاستعمال قوله: "ظاهر ظهور الشمس" في معرض حديثه عن لطف الله سبحانه وتعالى بعباده، الذي لا يخفى على أحد ، ولذلك جاء التشبيه خادماً للمعنى المراد؛ ليبين أن لطف الله بعباده ظاهر لا يلتبس على أحد، وهل يوجد أوضح من ظهور الشمس ؟.

وكذلك الاستعارة (ابن رشيق ، العمدة ، ج1، ص22) التي حازت قصب السبق من الصور في هذه الخطبة حيث توالى الاستعارات على مدار الخطبة، وكلها تدور في فلك المعنى المراد تعززه وتدعمه ، ومن ذلك لما تحدث عن الخلافة الغالبية التي أعادت العمل بتعاليم الإسلام فقال: "حتى يتنفس الإسلام خناقاً"، حيث شخص الإسلام وجعله ممن يتنفس، وقد أصابه الاختناق قبل عهد هذه الخلافة ، فلما استقرت لها الأحوال ، أعادت للإسلام حياته فتتنفس ، وهي صورة تعزز مكانة الخلافة الغالبية عند المسلمين الذين يخاطبهم ويسعى إلى التأثير فيهم.

فلما أراد أن يحذر وينبه من خطر العدو الذي يتربص بالإسلام والمسلمين استعار له صورة الحيوان المفترس الذي يتهيا للانقضاض عليهم وذلك في قوله: "والطاغية يتمطى لخضم الوطن وقضمه....." حيث حشد من الصفات جملة لا تكون إلا للحيوانات المفترسة، وجعلها من صفات العدو، فنفر المتلقين ولفت أنظارهم للخطر المحدق بهم.

وفي أثناء حديثه عن نعمة الاتفاق يقول: "وشدوا عليها أيدي الضنة....." وهي استعارة معقدة مركبة حيث جعل للضنة "البخل" أيدي، كما جعل نعمة الاتفاق مما يمسك ويشد عليه بالأيدي وليس أي أيدي وإنما أيدي البخل، التي لا تترك ولا تتخلي عما تمتلكه، وفي هذه الصورة دلالة عميقة على الحرص في التمسك بهذه النعمة وعدم التخلي عنها.

كما كانت للكناية (ابن رشيق، العمدة، ص251) بما فيها من إمكانات التعريض والإشارة والتلميح، مكانتها المميزة في هذه الخطبة الطويلة الزاخرة فمن ذلك قوله: "اللهم احفظ علينا العقل والدين، واسلك بنا سبيل المهتدين"، فهو بعد أن تحدث عن يسير في ركاب المعتدين، ويقتدي بهم فيخالف بذلك العقل ويسيء إلى وطنه، وختم بهذا الدعاء معرضاً بتلك الفئة التي جانبها الصواب، فكان عقولها ضاعت فضاغ سبيلها، وذلك مفهوم من العبارة التي تعني في هذا المقام أن هناك من ضيع عقله ودينه بما فعل.

ومن الكناية قوله: "وهو الذي ينزل الغيث....." كناية عن يقينه بالنصر بعد الهزيمة، حيث جاء بهذا الاقتباس القرآني ليشير بذلك إلى تلك النكسات المتعاقبة التي أصابت بلاد الأندلس، حتى إذا استحكمت أشار إلى النصر الذي سيجيء بعد فترة من اليأس والقنوط، وهو في ذلك يتفاعل ويستبشر ويوصل يقينه للمتلقى من خلال هذا الاقتباس، الذي حمل طاقة تعبيرية من النص القرآني الذي أخذ منه وهو حاضر في أذهان المسلمين كما هو حاضر في ذهن الخطيب.

الخاتمة

1 - تضافرت مستويات الأسلوبية المتعددة في الخطبة لتكون عاملاً أساساً في إقناع المتلقين والتأثير فيهم . وذلك من خلال الأدوات اللغوية التي وظفها ابن عاصم، وقد سارت الخطبة من بدايتها على رصد المتناقضات، وذلك من خلال الطباق والمقابلة، اللذين وظفهما ابن عاصم، بين عهدين، وحالين، وفئتين ... وما لهذين اللونين البديعيين من قدرة على جذب الانتباه وتركيز الأفهام والعقول ومن ثم التأثير فيها .

2 - تراوح تركيب الخطبة بين الأسلوب الخبري، بتقنياته وما يحمله من إمكانات الإقناع والتأثير، وبين الأسلوب الإنشائي الحافل بألوان المؤثرات التي تطل من ثنايا الأمر والنهي والاستفهام، حيث تداخل الأسلوبان، وسلم كل منهما راية الإقناع والتأثير للآخر .

3 - يعد المستوى المعجمي بتنوع اتجاهاته وتعدد دلالاته ، داعماً مميزاً لما قصد إليه ابن عاصم، وذلك تحقق من خلال تجول ابن عاصم بين استعمالاته المتعددة .

4 - أما المستوى الصوتي فتجلت فيه براعة ابن عاصم ومقدرته على توظيف السجع والجناس، في ضبط الجمل مع مراعاة المعنى المقصود، وكانت المزوجة بين الألوان البديعية المتعددة ميداناً فسيحاً ظهرت فيه مقدرة ابن عاصم على إبراز مراده .

5 - كما كان للصورة الفنية مكانتها في تعزيز هدف ابن عاصم من إقناع وتأثير لجمهور المتلقين الذين توجه لهم بها .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً المصادر والمراجع :

- ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر ، تحقيق: كمال مصطفى ، القاهرة ، 1949 .

- ابن عاصم، أبو يحيى محمد ، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى ، تحقيق: صلاح جرار ، دار البشير ، عمان ، 1989 .

- أبو زهرة، محمد، الخطابة أصولها وتاريخها ، ط1 ، مطبعة العلوم ، 1934 .

- البحيري سعيد حسن ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، ط1 ، دار نوبار ، القاهرة ، 1996 .

- البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين ، دار الفكر ، 1982 .

- بنيان، فاضل، البيان والبدیع في البلاغة العربية ، ط 1 ، مكتبة لعبية، صعدة، 2003 .

- التنبكتي، أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق: علي عمر ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، 2004 .

- جيرو، ببيير، الأسلوبية ، ترجمة : منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري دمشق ، 1994 م

- الحملاوي، أحمد بن محمد ، شذا العرف في فن الصرف ، خرج شواهد و وضع فهارسه: أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري ، دار الكيان ، لام ، لات.

- الحموي، ابن حجة ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، شرح: عصام شعيتو ، دار مكتبة الهلال ، 1987م.

- سانديرس، فيلي، نحو نظرية لسانية أسلوبية، ترجمة: خالد محمود جمعة ، المطبعة العلمية ، دمشق ، 2003م.

- عتيق، عبد العزيز، علم البديع، دار الآفاق العربية، القاهرة ، 2004 .

- عياد، شكري محمد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة مبارك العامة، القاهرة ، 1992 م.

- فضل، صلاح ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة ، 1998 م.

- القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت ، د . ت .

- القيرواني، ابن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة ، 2009 .

- مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349 هـ .

- المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت ، د . ت .

- المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثالثة، 1982 م

- المقرئ، أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، الرباط ، 1978 .

- المقرئ، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1968 .

- الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق : يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، 1999 م.

المجلات العلمية:

- البعلول، إبراهيم عبد الله، الأسلوبية الصوتية اتجاهها نقدياً، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 36، العدد 2، 2009م.
- عودة، ميس، المنهج الأسلوبي في تحليل الخطاب الإبداعي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 25، أيلول، 2011م.